مجلّة
رقم الإيداع القانوني: 2013-8004 ISSN: ر.د.م.د: 2352-9830 اللّغة العربيّة وآدابها

جماليات التخييل في رواية الغريب ل : ألبير كامو.

The aesthetics of the imagination in the novel of the strange: Albert Camus

د /العماري أمحمد

جامعة البليدة 02

تاريخ الإرسال : 2018/03/26 تاريخ القبول:2018/04/20

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن بعض الجوانب المتميزة لعمل روائي متميز وأقصد بذلك رواية "الغريب" لألبير كامو ، فقد خصصت هذه الدراسة للبحث في عنصر التخييل وجمالياته عند ألبير كامو في أشهر رواياته وهي رواية "الغريب" ، كما تحاول الدراسة الوقوف عند عنصرين سرديين لتبيان جماليات التخييل فيهما وهما الشخصية والمكان أو الفضاء ، إذ حاولت تبيان التقنيات التي استعملها ألبير كامو لرسم بالكلمات صورتي الشخصية والمكان داخل هذه الرواية ، والتي تجعل القارئ يبحر في أحداثها ، ويخرج من المكان المتواجد فيه –وهو مكان القراءة- ويدخل إلى عالم الرواية ،فيكون دخيلا يرقب الشخصيات ويتابع الأحداث ويعيش في أزمنتها و أمكنتها دون أن يتدخل أو يحاول تغيير مجرى الأحداث ،وبالتالي يكون ألبير كامو بذلك قد سحر المتلقي وجعله يسافر في روايته دون وعي وهنا تحدث اللذة الفنية .من جهة أخرى تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الكيفية التي من خلالها تتجسد الصور التخييلية في ذهن القارئ ، وكذا التناسب الموجود بينهما ،فرواية "الغريب" تحمل الكثير من الرسائل المشفرة ولا يمكن الوصول إليها إلا إذا تمكن القارئ من فهم آلية التخييل داخل الرواية.كما أن هذه الدراسة تمثل دعوة لإعادة قراءة رواية الغريب بمعاول نقدية دقيقة تكشف عن جماليات التخييل فيها وفنيتها .

الكلمات المفاتيح : التخييل ، الشخصيات ، المكان ، التناسب ،الجمالية ،رواية الغريب.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

Abstract :

This study aims at uncovering some of the outstanding aspects of a distinguished literary work. I mean the novel "The Stranger" by Abeer Kamo. This study is devoted to the study of the element of imagination and aesthetics at Albert Camus in his most famous novel, The Stranger. To illustrate the aesthetics of the imagination, namely personality and space or space, trying to show the techniques used by Albert Camus to paint the words of the character and the place within this novel, which makes the reader navigates in the events, and out of the place in which - the place of reading - and enter the world of the novel, Dok He does not watch the characters and follow the events and live in crisis and can not intervene or try to change the course of events, and therefore Albert Camo thus charmed the recipient and make him travel in his novel without awareness and here the artistic pleasure occurs. On the other hand this study attempts to shed light on how The novel "strange" carries a lot of encrypted messages and can not be accessed unless the reader can understand the mechanism of imagination within the novel. Also, this study represents an invitation to re-read the novel of the stranger accurate cash picks Reveal my beauty And its professionalism.

*** *** ***

رغم أن مدونة البحث في هذا المقال عبارة عن عمل أدبي مترجم وليس مكتوبا في أصله باللغة العربية ، إلا أن هذا العمل المترجم و اقصد رواية الغريب لألبيركامو ترجمة محمد بوعلاق عن دار تلانتيقيت بالجزائر يبقى عملا فنيا يشد القارئ من لحظة التلقي الأولى ، و هو في اعتقادي سببا كافيا يدعو إلى دراسته دراسة أكاديمية ، صحيح قد نقول أن الجمالية الأسلوبية في هذا العمل المترجم هي فضيلة المترجم ، لكني أرى أن هناك شراكة بين المترجم و صاحب العمل الأصلي " ألبيركامو" , لأن المترجم لم ينطلق من العدم بل حاول مقابلة لغة بلغة أخرى ، و بالتالي فهو يحافظ على نقل المعنى و الصورة الفنية و كل ما وجده في الرواية الأصل المكتوبة بالغة الفرنسية إلى اللغة العربية.

و على هذا الأساس فاني أرى أن البحث في جماليات التخييل في هذه الرواية المترجمة تتحدد فيها باعتبار أنها مكتوبة باللغة العربية ، و هنا قد يرفض البعض الحديث عن جماليات التخييل في رواية الغريب و إسنادها إلى ألبير كامو و ضرورة إسنادها إلى

المترجم " محمد بوعلاق" ، لكنني في هذه الحالة أشير إلى أن بحثي هذا لا يقف عند حدود لغة المترجم ، أي إسناد جمالية التخييل للمترجم أو للمبدع ، بل هدفي من البحث هو قراءة هذا العمل المترجم " رواية الغريب" ،و البحث عن جماليات التخييل الموجودة فيه باعتبار أنه مكتوب بالغة العربية فتحديد الجمالية هنا عندي هو تحديد قواعدها و شروط توافرها ، و ليس بحثا عن صاحبها باعتبارها سمة أسلوبية فأنا لا أشتغل في هذا المقال على آليات و خصوصية الترجمة بل أشتغل على هذه الرواية كما هي في هذه الطبعة.

و بداية يمكنني القول باطمئنان كبير أن رواية " الغريب" من الأعمال الفنية الراقية التي ألفها " ألبير كامو" ، حيث أثارت هذه الرواية استحسان الكثير من النقاد و الفلاسفة و الأدباء و في مقدمتهم " جان بول سارتر" ، و هي أبضا إحدى أعماله التي نال من وراءها جائزة نوبل . فقد جاءت هذه الرواية في سياق الاستلاب الذي كانت تعيشه بعض الشعوب المستعمرة ، فكانت رواية الغريب تروي قصة شاب فرنسي يرتكب جريمة قتل في حق ضحية عربي بعدما توجس منه خيفة بسبب مشادات وقعت بينهما قبل جريمة القتل. ثم يتم توقيف الجاني و محاكمته لكنه يدان ليس بسبب جريمة القتل ولكن بسبب عدم بكاءه عندما توفيت أمه.

تنطلق أحداث رواية " الغريب" من لحظة تلقي البطل " ميرسو" تيلغراف من دار الشيخوخة المتواجد بمدينة مرينغو"حجوط " شرق الجزائر العاصمة يخبره بوفاة والدته ، فيضطر الشاب البطل إلى طلب عطلة من رئيسه ليحضر مراسيم الجنازة ، وهي الجنازة التي يحضرها عدد قيل جدا من الناس يتقدمهم القس و مدير دار الشيخوخة إلى جانب الإبن، و شيخ طاعن في السن كان رفيق الأم في دار الشيخوخة ، و لكل شخصية من هذه الشخصيات أبعاد سيمولوجية تظهر من خلال وصف الروائي لها بكل دقة و تفصيل ، و بعد حضور الجنازة يعود البطل إلى بيته المستأجر بالعاصمة و الذي بدا له واسعا جدا بسبب غياب أمه، فيجد البطل رغبة شديدة في ذهابه إلى الحمام و هناك يلتقي " ماري كاردونا" و هي الفتاة التي كانت تشتغل معه في المكتب ، كما تعد هذه الأخيرة شخصية بارزة في الرواية فتشارك " ماري" البطل " ميرسيو" الحمام ، ثم تقبل دعوته فتذهب معه إلى السينما مساء ، فتتطور الأحداث حتى تنام معه في بيته.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

تخرج " ماري" بعدها مبكرة نحو زيارة خالتها ، و بعد ساعات من التأمل من نافذة المنزل ، فيصف الروائي تفاصيل الحياة بالجزائر العاصمة في تلك الحقبة الزمنية ، و كذا حرص الناس على حضور المباريات التي تنظم نهاية الأسبوع و دخول قاعات السينما . ثم يتذكر البطل أن يوم غده سيكون موعد عودته إلى عمله و عودته إلى الروتين الذي ظل يلازمه ،والذي لم يخترقه سوى حدث وفاة الأم و مع بداية الفصل الثالث من الرواية يعود البطل " مارسو" إلى عمله فيصادف رئيس عمله، و الذي بدا لطيفا معه بعدما انزعج آخر مرة عندما أخبره بتغيبه لحضور جنازة أمه في يوم تليه عطلة أسبوع ، و هذا ما يشير إلى تغيب البطل عن عمله مدة أربعة أيام بحجة قانونية لا يمكن ردها.

و قد كان البطل " ميرسو' يشتغل في مصلحة الشحن بميناء العاصمة ،و في هذا الفصل تظهر شخصيات أخرى يتعامل معها البطل. و منها شخصية " سيليست" صاحب الشارب الأبيض و البطن الكبير و شخصية " سالامانو" و هو عجوز جار البطل يمتلك كلبا يعيش معه ،إلى جانب شخصية " ريمون سانتيس" رجل قصير القامة أحد الجيران في العمارة والذي يعيش على عاتق النساء و عشيقته " ريمون" . وكذا شخصيات ثانوية لا تذكر بأسمائها و هي : حارس السجن ، الممرضة، المحلفون ، المراسل الصحفي، الدركي، رجل الشرطة ، المحامي ، زملاؤه ، النائب العام ، الحاجب ، ثلاثة قضاة ، الشهود...

فبعد وفاة الأم تبدأ ملامح البطل الغريبة تظهر، و يبدأ انفتاحه على الأخر ، فتنشأ صداقة بين " ريمون " الجار و البطل " ميرسو" و علاقة أخرى بين البطل و الفتاة " ماري".

ثم ينطلق الفصل الخامس من الرواية لسرد أهم أحداثها و المتمثلة في خروج البطل مع صديقته و صديقه ريمون و زوجته إلى شاطئ البحر ، و هذا بناء على دعوة هذا الأخير : " هتف لي ريمون في المكتب و قال : أن أحد أصدقائه (و كان قد حدثه عني) يدعوني لقضاء يوم الأحد في خيمته البحرية بالقرب من الجزائر العاصمة ، فأجابت : هذا ما كنت أريده فعلا، لكني وعدت إحدى الصديقات لقضاء ذلك اليوم معها، فقال ريمون عالى الفور ، إنه يدعوها أيضا و أن زوجة صديقه ستكون سعيدة لأنها لن تكون وحيدة وسط مجموعة من الرجال".**(1)**

و بعدما سرد الروائي تفاصيل صراع قديم بين شخص عربي يفترض أنه كان عشيق عشيقة ريمون ، و كان الصراع بين العربي وريمون خلف جروح أصيب بها ريمون بسكين العربي ، ثم انتهى العراك و افترقا بعد أن طبب طبيب - يحضر إلى الشاطئ - جروح ريمون ، لكن لم يتوقف المشهد عند ذلك الحد ، فقد إلتقيا مرة أخرى أين كان يحاول ريمون الانتقام بقتل العربي بمسدسه ، لكن البطل"مريسو" أقنع ريمون بالعراك دون سلاح و استلم منه المسدس و قتل العربي " ثم أطلقت النار أربع مرات على جسد هامد كانت الرصاصات تختفي بداخله إلى الأبد"[2]

و بعد القبض على البطل و استجوابه تبدأ تفاصيل محاكمته و التي تستغرق عدة أيام ، و في الأخير يدان البطل بالإعدام بتهمة عدم البكاء في جنازة أمه و ليست بتهمة قتل العربي.

إذن الرواية تسرد تفاصيل مشوقة عن إدانته عن جرم يرى الروائي " ألبير كامو " هو أكثر من جرم القتل و حتى يقرب الروائي الفكرة من المتلقي استعمل عدة تقنيات فنية في السرد و منها الوصف ، فالقارئ المتفحص يجد نفسه - وهو يقرأ الرواية – أنه أمام مشهد يمثل أمامه و يتخيل نفسه و كأنه شخص حاضر يرقب تفاصيل أحداث الرواية بل قد يشعر بحميمة صارت تجمعه مع شخوص الرواية و هنا استفزني هذا الموضوع للدراسة و الذي يطرح إشكالية قدرة التخييل في رواية " الغريب" على إقناع القارئ عكس ما يحمله من أفكار و قناعات فمن قناعات القارئ مهما كان أصله أو جنسيته أن جريمة القتل أكبر من عدم الحزن عند وفاة الأم ، لكن ألبير كامو من خلال عنصر التخييل يعمق المأساة و يجعلنا ننظر إلى بطل الرواية الذي لم يحزن لوفاة أمه نظرة ازدراء تتجاوز جرمه عندما قتل العرب.

كما يتناول المقال جماليات التخييل عند ألبير كامو من خلال رسم شخصيات رواية " الغريب" و كذا وصف الأحداث و الأمكنة لدرجة أن القارئ يتحسسها و كأنها أمامه.

و حتى يكون البحث دقيقا ، رأيت أن العناوين الفرعية إطار تنظيمي يساعد على تتبع رصد ودراسة عنصر التخييل، خاصة و أن التخييل موجود في كل عناصر السرد

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

كالشخصيات و الأمكنة الذين سأركز عليهما وأستشهد ببعض النماذج من الرواية ،وبداية سأحاول الحديث غن مفهوم التخييل.

مفهوم التخييل:

في الحقيقة تعددت مفاهيم التخييل ، كما تعددت المصطلحات التي تقابله، فمن هذه المصطلحات نجد مصطلح الصور الفنية و مصطلح التخيل ، أما المفاهيم التي أصبح يشير إليها عنصر التخييل عند النقاد المحدثين فهي مستمدة بداية من فحص الخطاب الأدبي و خاصة جنس الرواية الذي يرتكز أساسا عليه ، و سأتجاوز المفاهيم التي قدمها النقاد العرب القدامى لعنصر التخييل و الذي كانت تحدد أساسا بالنظر إلى موقعه في الشعر باعتبار أن الشعر كان أكثر الأجناس الأدبية بروزا، فيما نازعته في العصور المتأخرة الرواية و التي تعتمد أساسا على التخييل .فقد كان و لازال الشعر يعتمد على الإيقاع بداية ثم تليه التخييل . أي في اعتقادي أن مفهوم التخييل عند العرب القدامى لم يحض بنفس الإهتمام بالإيقاع فيه، في حين أن النقاد المحدثين يهتمون كثيرا بالتخييل باعتباره العنصر الأكثر بروزا في الجنس الذي يحتل الصدارة اليوم وهو جنس الرواية .

و هنا أتجاوز مفهوم التخييل عند حازم القرطاجني ، الجاحظ و القزويني و حتى الجرجاني كما لن أتحدث عن الخيال عند أرسطو طاليس ، و سأتناول الخيال عند المحدثين فقط.

و بداية أقدم مفهوم التخييل عند جابر عصفور من خلال كتابه المعروف المعروف الصورة الفنية إذ يقول : " يشير استخدامنا اللغوي المعاصر لكلمة " الخيال" إلى القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس ، و لا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان يعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ماهو أبعد و أرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدركات ، و تبنى منها عالما متميزا في جدته و تركيبه ، و تجتمع بين الأشياء المتنافرة و العناصر المتباعدة في علاقات فريدة ، تذيب التنافر و التباعد و تخلق الانسجام و الوحدة." (3)

من خلال هذا المفهوم يتبين إن التخييل لا يتوقف عن حدود استثمار المدركات الموجودة في الواقع ، بل بإعادة تشكيل تلك المدركات لخلق عوالم جديدة ، فيخترق

التخييل مجموع العلاقات التي تربط بين مدركات العالم الواقعي لخلق علم افتراضي جديد يتقاطع مع الواقع. و هذا المفهوم ينطبق تماما على النصوص البردية ومنها الرواية ، ف الروائي مرجعية من الواقع يستعملها في خلق الشخصيات ووصف الأمكنة و حتى هندسة الحوار

و هذا بالضبط ما يشير إليه "سعيد بنكراد" عندما يتحدث عن السرد الروائي اذ يقول : " بناء عالم تخييلي ، كما يفعل ذلك السرد ، استنادا إلى حقائق موضوعة - أي إلى ما ينتمي إلى وقائع الحياة: إلى مصاف القيم الثابتة التي يتكفل الوجدان الجمعي بتخليصها من سمات الخاص و المفرد و المؤقت و يضعها للتداول . باعتبارها قيمة إنسانية عامة تضاف إلى التراث الحضاري للأمة بكل أبعاده" .**(4)**

إذن التخييل سمة أساسية في بناء الرواية، فمن خلال تظهر لنا مختلف العوالم، وترسم أمامنا الشخصيات ،فتصير جزء من واقعنا ننتقل إليها ونغير معها، فنلحظ مختلف تقاسيم الوجه والقامة والسلوكيات والأفعال في كل شخصية ،وكلما استطاع الروائي الإلمام بتفاصيل أكثر عن طريق التخييل، كلما اقتنعنا بوجود تلك الشخصيات وعرفناها وكأنها مستمدة من ذاكرتنا .

وهو بضبط ما يشير إليه العربي الذهبي من خلال كتابة شعريات المتخيل إذ يقول "هناك من الأفعال الخيالية ما يحتفظ بالوضع الوقائعي: وهو الصنف الأول من الأفعال الخيالية ،بينما يقوم الصنف الثاني على تحييد واقعيتها ونفيه . " **(5)**

فالأفعال الخيالية تكون مرجعيتها واقعية، فهي تأخذ من الواقع عناصره لتعيد تشكيلها مرة أخرى في قالب جديد، فان كان هذا التشكيل يطابق إلى حد بعيد الواقع المعيشي كان هذا النوع من الأدب من صنف الأدب الواقعي ،آما إن كان هذا التشكيل للعناصر المستمدة من الواقع المعيشي متصرف فيها إلى حد بعيد كان الأدب الناتج عنها مدرج ضمن التيارات الأدبية الأخرى كالرومانسية مثلاَ .

فالتخييل عند العرب لا ينطلق من العدم بل ينطلق من الواقع لان أساس التخييل . حسب فهمي . هو تشكيل لمجموعة من العناصر وفق إستراتيجية محددة يتبناها المبدع،وهذه العناصر المخزنة في ذهن المبدع لها مرجعيتها من عاله الذي يعيش فيه ،لان

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

المبدع لا ينطلق من فراغ ولا يستطيع خلق المادة الأولية للصورة التخييلية ،فما يقوم به هو تشكيل وليس خلق من العدم.

وعلى الأساس فإن دراسة التخييل في أي عمل إبداعي . في اعتقادي . هو الكشف عن الإستراتيجية التي اتبعها المبدع في الربط بين العناصر الأولية لتشكيل صورة جديدة ضمن نص جديد ،وهو ما شاع كثيرا بين أدباء العصر،وهو ما يشير إليه عبد الإله الصائغ عندما تحدث عن الخطاب الشعري الحد اثوي والصورة الفنية يقول :" لقد شاع نص الصورة في نصوص الشعراء الشباب أين وحدوا بين هموم الحداثة وهموم النص،فالنص لا يبكي ولا يشتكي ،زد على ذلك فانه غير راغب يكسب ..... إلى قضيته الأيديولوجية قدر رغبته بكسب اهتمامك بجماليته وقولنا هذا لا يلغي الأيديولوجية في (نص الصورة)»**(6)** الواضح من خلال القول السابق أن الصورة تتضمن أبعاد جمالية كثيرة تتجاوز حدود المقدمة الطللية التي كانت لها منزلة كبيرة في نفس العربي قديما . وهذا ما يدفعني إلى القول بان العصر الذي نعيش فيه تجاوز. بمختلف خصوصيته . عهد المقدمة الطللية فإحساسنا وتذوقنا للمقدمة الطللية لا يكون إلا بعد أن نتجرد من هذا العصر ونسافر في أعماق التاريخ فنستحضر خصوصية عيش العربي ،وأيامه وقت الجاهلية وثمة نتذوق المقدمة الطللية وثمة نحس بجماليتها ،أما إذا التقط القارئ المقدمة الطللية بكل ما تحمله من خصوصية على الواقع المعيش اليوم فلا يكاد يجد لها ما يقابلها في ارض الواقع ،وهنا عسى المتلقي بنوع من الغربة والوحشية أمام المقدمة الطللية،في حين ان تشكيل الصورة لا يزال يحتل موقعا مركزيا في ذات المبدع ونفسية المتلقي فقد صرنا نعيش في عصر الصورة بكل أنواعها سواء الصورة الناتجة عن التخييل عندما نتلقى الأدب،أو الصورة الفوتوغرافية أو حتى السينمائية . وهذا التحول بني جيلا جديدا ،ولا يزال هذا التحول المتسارع يرسخ ثقافة الصورة لدى المتلقي، فالتطور التكنولوجي اليوم أصبح يفرض نفسه بقوة ،أو يختصر الكثير من المسافات بين الأشخاص ويقلص الزمن من خلال معايشة عدة أحداث في زمن واحد وقصير. وهنا مال الإنسان العربي إلى الاختصار في كل شيء فيكون التخييل من أهم الأدوات التي تلخص المعنى.

والتخييل هنا يكون بمثابة استحضار لصورة ويرسمها المبدع سواء أكانت تلك الصورة واضحة أم غير واضحة،وهو ما يشير إليه" العربي الذهبي" بقوله :" يشغل الخيال أوالية استحضار غير واضحة (غير وضعية)ولا يبالي بما إذ كانت الموضوعات التي يستهدفها موجودة بالفعل أم لا، أي أنه يحدث دون أن يبدل المادة القصدية (الأشياء) موضوع فعله الخيالي ،بل بإقصاء أي اعتقاد في وجودها الواقعي أو عدمه ."(7)

وبالتالي يمكننا القول بأن فعل التخييل يستند دائما إلى أشياء هي موجودة في الواقع قبلا أما ما يقوم به المبدع فهو إعادة تشكيل جديدة لتلك الأشياء ،وهو بالضبط ما لمسته عند قراءتي لرواية الغريب **لألبير كامو** وهو ما أعطى تخيله الجمالية فنية مبتدعة التخييل وجمالياته في رواية الغريب.

بداية وسواء انطلقنا من الصورة الموجودة على غلاف الرواية أو من العنوان باعتبارها من العتبات النصية الهامة،فإننا نجد لكل من الصورة والعنوان إثارة تجعل المتلقي يغرق في بحر التأويلات وفي عملية استحضار لصورة تخييلية كثيرة ،فالصورة تضم عدة عناصر ،لكل عنصر دلالة معنية فالصورة الغلاف تضم شخصا مظلما ومجهولا يحمل سكين وهو في وضعية هجوم خلفه الشمس وهي في حالتها القريبة من الغروب وخلفية باللون البني والأسود والأجوري وهذه الصورة السوداوية تعكس جريمة وقعت في وقت متأخر من النهار كما يشير هذه الصورة على الغلاف حالة من التأهب والذعر لدي المتلقي وكل هذا يفتح أفق التخييل لدى القارئ قبل بداية قراءة الرواية،أما العنوان "الغريب" فهو مشكل من جزئيين متضادين أما الأول فهو أداة التعريف الألف واللام،أما الثاني فهو لفظ "غريب" والذي يضم في معناه دلالة شخص مجهول ،وبالتالي نجد العنوان مشكل من تضاد المعرفة التي أضيفت للمجهول وهذا دون أن تحدده بدقة وهنا يغرق القارئ في بحر التأويلات فترسم في ذهنه العشرات من الصور لأشخاص غرباء يكون قد صادفهم في حياته ،لكنه أصر وكأنه يعرفهم وهنا يشعر القارئ بجمالية التخييل.

والحقيقة فباب التخييل في رواية "الغريب" ليس مقصورا على عتبة صورة الغلاف والعنوان ،بل التخييل موجود في كل عناصر الرواية انطلاقا من الشخصيات وكذا المكان أو الفضاء والحوار وغيرها،وبداية سنحدد جمالية التخييل في الشخصيات .

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

***جمالية التخييل في شخصيات رواية الغريب:**

بداية يمكنني القول بأن التخييل في الشخصيات رواية "الغريب" يأخذ أبعادا مختلفة سواء على المستوى الفيزيولوجي أو النفسي آو الاجتماعي أو غيره،فإثناء قراءتنا للرواية نحس وكان الشخصيات الموجودة فيها حاضرة معنا أو بالأحرى نحس أنفسنا موجودون معهم نرقب سلوكياتهم ونتأمل ملامحهم كم انه لا يتوقف التخييل عند ذلك الحد ،فرسم تلك الشخصيات بالكلمات يجعل المتلقي يستحضر الكثير من الشخصيات التي يعرفها في ارض الواقع وتتقاطع مع شخصيات **ألبير كامو**" سواء مشابهة أو تناقضها فسيحضر المتلقي حشدا من الشخصيات وهو يقوم بفعل القراءة فمنذ الوهلة الأولى تظهر شخصية البطل في الرواية التي تتميز باللامبالاة فيقدم **كامو** شخصية **مارسو**" بطل الرواية من خلال حوار داخلي "مونولوج" اليوم ماتت والدتي ،أو قد ماتت بالأمس لست ادري؟ لقد توصلت بتلغراف من دار الشيخوخة كتب فيه" الأم توفيت،الدفن غدا تقبل عواطفي"،هذا لا معنى له ربما كان ذلك بالأمس" **(8)** . فهذا الحوار الداخلي (المونولوج) يرسم لنا شخصية مارسو بدقة متناهية فهي شخصية غير مبالية رغم وفاة الأم إلا إن "مارسو" استقبل الخبر بكل برودة، فقضية موت الأم لم يعطها أية أهمية وشخصية سوية عادية ،وإنما يكون في شخصية غير عادية ،وبالتالي يمتلك القارئ منذ الوهلة الأولى صورة عن نفسية بطل الرواية "مارسو" وخاصة مع تكرار عبارة ليس ذنبي فكأن "مارسو" متمسك بقضية تنصله من موت أمه فيكرر هذه العبارة بصيغة أخرى " من جهة ليس خطئ إذا تم دفن أمي بالأمس بدل اليوم. "**(9)** ثم يكررها هذه العبارة في حوار داخلي أثناء إخباره "ماري" بوفاة أمه " كدت أقول لها : إن ذلك ليس ذنبي،لكنني توقفت ،لأنني تذكرت بأنني قلت ذلك سابقا لرئيسي في العمل. هذا لا يكون له معنى ،ومهما يكن الأمر فنحن دائما مخطئون." **(10)** .

كما يظهر على هذه الشخصية نوع السذاجة،وخاصة في رده على صاحب عمله عندما طلب الإجازة لحضور الجنازة، بحيث برزً مارسو ضرورة تغيبه عن العمل بعدما قدم سببها المتمثل في وفاة الأم بقوله "إنها ليست غلطتي." **(11)** . وكأن ميرسو أراد أن يقول بأن وفاة الأم وحضوره الجنازة ليس خطأ ارتكبه ،أو هو من

تسبب في تلك الأحداث وهنا يتضح جانبا مهما في هذه الشخصية، وهو جانب الاستهتار واللامبالاة. وهو الجانب الذي يركز عليه ألبير كامو ،ويوظفه في كامل الرواية إذ يتدعم تخيلنا لهذه الشخصية في سلوكياتها من خلال مواقف أخرى يذكرها ألبير كامو، وهي مواقف يعيشها البطل في مختلف فصول الرواية بحيث في كل مرة يستجد شخصية البطل في مخيلة القارئ ،بحيث تظهر هذه الشخصية وفق تقنيات محددة مثل في الحوار أو في الوصف أو حتى السرد،فكل هذه التقنيات يستعملها الروائي ليقدم شخصياته،ومن خلالها يتخيل القارئ صورة تلك الشخصيات، ففي وصف "ماري" تتضح صورتها في مخيلة القارئ "كنت ما أزال داخل الماء لما كانت مستلقية على بطنها فوق العوامة. استدارت نحوي. وقع شعرها على عينيها، فيما كانت تضحك صعدت إلى جانبها فوق العوامة..... تحت رقبتي كنت أحس ببطن ماري ينبض برقة." **(12)** فهذا الوصف يعطينا صورة عن شخصية ماري التي تتميز بالتلقائية والمرح وعفويتها ،فهي ليست فتاة عصبية أو نكدية إنها فتاة تبعث الروح وهي مناسبة في هذا الوضع بالذات ،لأنها ظهرت مرة أخرى في حياة "ميرسو" – بعدما كانت قد تركت العمل معه- ظهرت حينما عاد هذا البطل من جنازة أمه وهو يبحث عن التغيير ،ولذلك فكر ثم قام بالذهاب إلى الحمام أين التقى "ماري" وهذا يدفعنا إلى القول بان تصميم "ألبير كامو" لشخصياته كان دقيقا جدا،بحيث أنه حافظ على التناسب في ظهور الشخصيات. وفي هذا المثال تلعب "ماري"دورا محوريا في حياة "ميرسو" فهي بمثابة تعويض خسارة الأم التي توفيت ،وبالتالي فان القارئ يجد نفسه متقبلا لظهور شخصية "ماري" المرحة في هذا الوضع المتأزم في شخصية "ميرسو".

ثم لا يكتف "ألبير كامو" بالتصور النفسي عن طريق الوصف لشخصية"ماري" بل يستعمل تقنية الحوار ليكشف للقارئ جانبا مهما من أوصافها الجسدية وهذا حينما تفتخر ماري قائلة لميرسو"أنا اسمر منك" **(13)**. فهذا الوصف كفيل للقارئ حتى يتخيل لون بشرة "ماري" ،وهو عادة اللون الذي يبحث عنه ذوي البشرة البيضاء عن طريق التعرض لأشعة الشمس فتتحول البشرة إلى السمرة الجذابة. ولهذا يركز "ألبير كامو" على هذه الصفة في وصف "ماري" وهذا بخلاف أوصاف أخرى لشخصيات أخرى فمثلا

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

شخصية "سيليست" صاحب المطعم أو شخصية "سلامانو" لا تظهر لون بشرتهم في الرواية ،بل كل شخصية يصفها الروائي مقدما من وراء الوصف قراءة تدعونا لفتح فضاء التخييل أكثر.

فسيليست الطباخ ليس نحيلا لان هذا إعادة لا تناسب مع وظيفته،كما أن لباسه ليس عاديا بل يرتدي مئزرا ويبرز هذا "ألبير كامو" مباشرة بعد وصول "مارسو" وصديقه "إمانويل" إلى "سيليست" بعد سباق على حافلة الميناء وصولا إلى الحي الذي يقطن فيه "مارسو"... "وصلنا الى سيليست ونحن نتصبب عرقا. وكان في مكانه كي العادة بكرشه الكبير وشاربه الأبيض ومئزره." **(14)**. أما شخصية "سلامانو" فيقدمها ألبير كامو على لسان "مارسو"بتقنية الوصف الساخر،فيتخيل القارئ هذه الشخصية ويرسم تفاصيل شكلها دون أن يلتقي بها في ارض الواقع،وهنا التخييل يلعب دورا كبيرا في دخول عالم الرواية" أثناء صعودي السلم الأسود،اصطدمت بسلامانو العجوز ،جاري في نفس الطابق كان معه كلبه الذي لم يفارقه منذ ثماني سنوات ،مصابا بمرض جلدي اعتقد انه مرض الحميراء الذي يجعله يفقد تقريبا كامل شعره،وغطى كل جلده بقشرة بنية اللون . ونظرا لكونهما يعيشان معا لوحدهما في غرفة صغيرة ،صار سلامانو يشبه كلبه لقد امتلاء وجه العجوز بقشرة تميل إلى الاحمرار بينما صارت شعيراته القليلة الباقية أميل إلى الاصفرار .أما الكلب فقد اكتسب من سيده هيكلا محدبا والخصم الممتد والرقبة المشدودة إلى الأمام ،صار يبدوان وكأنهما من نفس السلالة." **(15)**. الواضح من خلال هذا الوصف نتأكد أن ألبير كامو لا يغفل عن أي تفصيل في شخصية سلامانو فهو يقدمها للقارئ بكلمات تجعل القارئ يستحضر مجموعة من المواصفات التي كان قد عهدها في أرض الواقع فيضمها إلى بعضها البعض بفعل التخييل لترسم في النهاية أمامه شخصية العجوز "سلامانو" .

والحقيقة لقد برع ألبير كامو " في إثارة التخييل لدى القارئ عن طريق تقنيات مختلفة أهمها الوصف والحوار والسرد من أجل رسم صورة طبق الأصل لكل شخصيات الرواية ،وهنا يجد القارئ نفسه حاضرا داخل الرواية يعاشر هذه الشخصيات ويرقب سلوكياتها وأفعالها دون أن يكون له الحق في التدخل أو التغيير. كما أن التخييل في الرواية

لم يتوقف عند حدود رسمت مختلف شخصياتها ولكن امتد إلى عناصر سردية أخرى،فنجد التخييل في خلق أماكن روائية قد تكون لها مرجعيتها في ارض الواقع.لكن هذا الخلق الجديد يعطيها خصوصية جديدة تجعلنا نعجب بطريقة الروائي التي يقدمها لنا ،فالروائي "ألبير كامو" يقدم المكان بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة فيشير الى مخيلة القارئ صورا ترتسم لبعض الأماكن التي كان يعرفها لكنه لم ينتبه لبعض تفاصيلها وهنا تظهر فنية التخييل وجماليته في الرواية.

جمالية التخييل في المكان:

يمكننا إن نشير إلى جمالية التخييل في عنصر المكان أو الفضاء أو الحيز داخل رواية الغريب من خلال بعض النماذج التي توضح خصوصية التخييل ووظيفته في إثارة القارئ .الذي يتحول إلى مكتشف وكأنه يتعرف على تلك الأماكن لأول مرة.فمثلا يقدم "ألبير كامو " القاعة التي وضعت فيها جثة الأم بكل تفاصيلها "دخلت ،كانت القاعة مضيئة جدا مبيضة بالجير وتم تأثيثها بكراسي في الوسط يوجد تابوت مغطى ترى فيه مسامير تلمع لم يتم دقها إلى نهايتها .بالقرب من التابوت وقفت ممرضة عربية لابسة جلبابا ابيض وعلى رأسها وشاح من لون لامع" . **(16)**.

الواضح من خلال هذا الوصف ان القاعة كانت مخصصة لوضع القاطنين بدار المسنين المتوفين من العجزة قبل دفنهم خاصة إذا تطلب الأمر تأخر دفنهم إلى غاية حضور أقربائهم. وهذه الخصوصية التي تتميز بها هذه القاعة تظهر من خلال وصف الروائي لها فيتمكن القارئ من رسم صورة لهذه القاعة في مخيلته تجعله يحس وكأنه متواجد بداخلها،وحتى التابوت داخل القاعة يتضح صورته بدقة لأن الروائي لم يغفل عن ذكر وضعية الكراسي داخل القاعة كلها تفاصيل تسمح للقارئ بمغادرة موقع تواجده والإبحار في التخييل فترسم بدقة صورة هذه القاعة ،وعندما يغادر الروائي وصف القاعة إلى الحديث عن لحظة دخول البواب وحواره مع "مارسو" ينتقل القارئ بتخييله غالى مشهد جديد بعدما كان أسير المشهد السابق المتمثل في صورة القاعة وخصوصيتها وهنا تظهر جمالية وصف هذا المكان المتمثل في هذه القاعة الخاصة جدا والتي لا تشبه بقية القاعات.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

وإلى جانب ذلك يتقدم "ألبير كامو" صورة الريف في لوحة رسمية رائعة أدواتها الكلمات فيشير في القارئ رغبة جامحة في زيارة المنطقة سواء أكان هذا القارئ يعرفها أم لا يعرفها "رحت انظر إلى الريف من حولي عبر صفوف أشجار السرو العالية المؤدية إلى التلال القريبة من السماء ،وأنظر إلى الأرض البنية والخضراء والى الديار القليلة الجميلة. كنت افهم آمي من دون شك ان الليل في تلك البلدة يكون هادئا ومحزنا. اليوم هذه الشمس الفائضة تهز المنظر الطبيعي وتجعله فظا ومحبطا." **(17)**

إذن صورة الريف بمنطقة "مارينغو"حجوط حاليا ترتسم بكل تفاصيلها من خلال الوصف الدقيق فيتخيل القارئ تلك المنطقة حتى وان لم يكن قد زارها من قبل كما إن هذه الصورة التي يقدمها الروائي تحمل القارئ على استحضار صورتين لمكان واحد في زمنين مختلفين فالصورة الأولى هي الصورة الريف في النهار والتي تتجسد في مخيلة القارئ بعد ضم أجزائها إلى بعضها البعض ضم الأشجار في تناسقها مع بعضها البعض إلى جوار الديار القليلة وضم كل هذا إلى تنوع الأراضي بين الخضراء المكسوة بخضرة الأعشاب والأشجار والبنية التي قلبت تربتها قصد تهيئتها للزرع إما الصورة الثانية فهي صورة ذلك المكان ليلا التي تتحول إلى الهدوء والكآبة وهنا يتجسد بعد أخر هو علاقة الشخصية بالمكان وكذا تأثير المكان على الشخصية وخاصة في جانبها النفسي ،إذ يوضح كامو على لسان"مارسو" كيف أصبح هذا البطل يعرف أمه من خلال معرفته المكان الذي كانت تقيم فيه و أقصد دار المسنين وما يجاورها من ريف ويشير إلى هذه العلاقة سعيد يقطين في قوله :" يكتسب الفضاء أهمية قصوى في تشكيل الفرد و أحاسيسه وانفعالاته منذ مراحله المبكرة ، ومن هذا الارتباط يبرز الوعي والإحساس عند الفرد بالانتماء إلى الفضاء المحدد." **(18)**.

فالعلاقة موجودة بامتياز بين الشخصية والمكان وهذا الذي لم يغفل عنه "ألبير كامو" اذ يجسد هذا البعد في مشاهد كثيرة ومنها مشهد "مارسو"أثناء محاكمته وعودته من قصر العدالة إلى السجن أين يستحضر صورة المدينة المترسبة في ذهنه والتي كانت تشعره بالسعادة "رفعت الجلسة ، وعند الخروج من قصر العدالة للصعود في السيارة أحسست للحظة قصيرة بلون ورائحة أمسيات الصيف وبعد ذلك وداخل ظلمة سجني

المتواترة تذكرت من أعماق المتعبة الواحد تلو الأخر كل الضوضاء المألوفة في المدينة التي أحببتها عندما كنت سعيدا.تذكرت صيحات بائعي الصحف في الهواء الطلق عصافير أخر النهار فوق أشجار الميدان، أصوات بائع الأكلات الخفيفة ، فرامل الحافلات فوق المرتفعات ولون السماء قبل أن ينزل الليل بظلمته على الميناء." **(19)**

إن هذا الوصف الدقيق للمكان يؤكد متانة العلاقة بين هذه الشخصية وهذا المكان المجسد في مخيلته ويجعلنا هذا الموقف نراجع أنفسنا كمتلقين لهذا النص، فنجد أن الروائي استطاع بهذه التقنية التي تجسد المكان أن يرسم المدينة بكل خصوصيتها،و أن يرسم جمالية هذا المكان (المدينة)، والذي قد يغفل من يعيش فيه عن الكثير من خصوصيته ،فالروائي يعيد خلق صورة المكان في ذهن المتلقي ويعقد علاقة بينه وبين الشخصيات التي تعيش فيه .

وخلاصة القول يمكننا الآن أن نؤكد أن ألبير كامو كان دقيقا في استثمار عنصر التخييل في بناء روايته الغريب بحيث يسلب من القارئ حريته أثناء فعل القراءة ،ويسافر به إلى عوالم مختلفة ،فيعرفه على شخصيات جديدة تصير بعد مدة قصيرة من القراءة شخصيات مألوفة ،ويطلعه على أماكن لم يزرها من قبل هذا القارئ أو حتى يعرفها قبلا فترتسم في ذهنه بدقة متناهية تتوضح فيها أبسط التفاصيل .وهنا يشعر القارئ بنشوة التخييل وقدرة الروائي على نقله من عالمه الخاص إلى عوالم أخرى جديدة فيشعر قارئ الرواية بلذة فنية كبيرة . فهذه الجماليات هي من الأسباب التي جعلت هذا العمل الروائي يرقى إلى مصاف الآداب العالمية كما كان هذا العمل سببا في حصول ألبير كامو على جائزة نوبل .ولعل هذه الدراسة محاولة تفتح أفق القراءة وتحمل دعوة ضمنية لإعادة قراءة رواية"الغريب" في مستوياتها المتنوعة بموازين نقدية دقيقة تكشف عن جماليتها.

الهوامش:

(1) ألبير كامو ، الغريب ، تر محمد بوعلاق مرا : عبد اله لقديم ص 54 .، ط1: 2013 دار تلانتيقيت ، بجاية الجزائر.

(2) ألبير كامو ، الغريب ص 74.

(3)-جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب المركز الثقافي العربي ، ط3 : 1992، بيروت ، ص 13.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

(4)- سعيد بنكراد السر الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1: 2008، ص241.

(5)-العربي الذهبي، شعريات المستحيل ،اقتراب ظاهراتي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء ،المغرب ،ط1 2000: ص.140

6)عبد الاله الصائغ،الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية،الحداثة وتحليل النص،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1999:1.ص78

(7)- العربي الذهبي ،شعريات المتخيل، اقتراب ظاهراتي ، ص141

(8) ألبير كامو ، الغريب، تر: محمد بوعلاق ،ص17.

(9)المصدر نفسه ،ص17

(10)المصدر نفسه ،ص33

(11)المصدر نفسه ،ص34

12)المصدر نفسه ،ص34

13)المصدر نفسه ،ص34

(14)المصدر نفسه ،ص40

(15)المصدر نفسه ،ص (40.41)

(16)المصدر نفسه ،ص20

(17)المصدر نفسه ،ص30

(18) ينظر:سعيد يقطين،قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعرية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط.: 1997،ص241.

(19) ألبير كامو ، الغريب ،تر: محمد بوعلاق ،ص(109،110).

*** *** ***